نظرية البطل التاريخي - جنكيز خان – أنموذجاً

د.غفران محمد عزيز الدعامي

كلية التربية / جامعة ميسان

المخلص :

ان تفسير حركة التاريخ ومتغيراته لا تتم الا من خلال معرفة النتائج الحقيقية لكل حقبة والاسباب التي ادت اليها وهو ما يجعلنا نقف على التقدم او التراجع الذي يحصل في بلد من البلدان ومن هذا نرى ان للبطل التاريخي الدور الكبير في تغيير حركة التاريخ ونشأة الدول ومدى النجاحات التي تحققها وصولا الى اضمحلالها ، ولهذا سلطنا الضوء على هذه النظرية واخذنا نموذج تاريخي هام جدا على مسرح الاحداث خلال الحقبة المدرسة تمثل بجنكيزخان مؤسس امبراطورية المغول التي سيطرت على مناطق واسعة جدا وصاحب التغيير الحقيقي لهذه القبائل وعلى كل الاصعدة السياسية والعسكرية والإدارية والحضارية بما امتلك من فكر ورؤية استطاع خلالها قياده هذه القبائل القاسية الطبع وتحويلها الى مجتمع يخضع لقانون وتقوده المؤسسات ويفرض سيطرته على جميع القوى المحيطة فكان بحق قائد بطل وصاحب انجازات تاريخية كبرى.

Abstract:

The interpretation of the movement of history and its variables through the knowledge of the causes and results of the most important studies useful and have a role to know the causes of evolution or deterioration and this was the historical hero of the great role in the whole movement of history and the emergence of States and decay and this gave us a light on this theory and took a very important historical model on the scene of events During the era of the school, which represents Genghis Khan, the greatest empires of the Islamic era after the era of the Abbasid Caliphate, which made great achievements on all levels – political, military, administrative and civilization,

and what possessed the vision of insight managed through this Copyright harsh tribes and turn them into society is subject to the law and institutions was led by the commander of the right of the champion and the owner of a major historic achievements.

المقدمـــة :

اثـرت الشخصـيات القياديـة بوضـوح فـي حركـة التـاريخ وتغييـر مسـاره واختلـف نسـبة التغييـر تبعـا لقوتهـا والظـروف المحيطـة بهـا ولكـن عنـدما نتحـدث عـن شخصـية جنكيزخـان الـذي وحـد القبائـل المغوليـة وحكـم القبائـل المتنازعـة معهـا واقـام امبراطوريـة واسـعة الارجـاء وبنـا نظامهـا الاداري والتشـريعي فهـذا بحـق رجـل مختلـف ولهـذا رأيـت ضـرورة دراسـته للوقـوف علـى هـذه الشخصـية التـي بنـت مجـد الامبراطوريـة المغوليـة علـى مـر العصـور وهـذا هـو سـبب اختيارنـا للموضـوع علـى الـرغم مـن قلـة المصـادر التاريخيـة ومحـدوديتها ، وأيـا كـان بـدأتُ دراسـتي فـي المحـور الاول تحديـد مفهـوم البطولـة فـي اللغـة والاصـطلاح وفـي رؤيـة المسـلمين وكـذلك المستشـرقين للوقـوف علـى الشخصـية التـي تتمتـع بصـفات البطولـة ، ثـم انتقلـت فـي المحـور الثـاني الـى شخصـية جنكيزخـان مـن خـلال النشـأة الصـعبة التـي اثـرت علـى تكـون شخصـيته والتـي اسـتطاعت ان تقـود المغـول نحـو التوسـع والسـيطرة وهـذا مـا بينتـه فـي المحـول الثالـث الـذي اوضـح الافكـار التي يحملها وقادها في مجده وبناء مجد منهجا ابناءه من بعده .

اولا : المفهوم لغة واصطلاحا

أ- المفهوم اللغوي :

يعود اصل كلمة البطل الى الفعل بطل ، بتصاريفها يبطل بطلا وبطولا وبطلانا ، ولهذا الكلمة مجموعة معاني منها ان تاتي بمعنى بطلان الامر عندما نقول بطل الشيء الفلاني[١] ، وفي معنى اخر نجدها نقيض لمعنى الحق في مفردة الباطل والتي جمعها اباطيل ، كذلك تاتي بمعنى اتباع اللهو والجهالة وذلك في قولنا التبطل وايضا في أُبطل فلان : أي جاء بخبر كذب وادعى باطلاً ، في حين المعنى الاكثر حضورا هو الشجاعة والقوة [٢].

ب- المفهوم الاصطلاحي :

وردت لهذا المفهوم العديد من التعريفات التي اوضحت معناه ومدى اهميتها اذ عرف بانه الكائن الاستثنائي المختلف عن بقية البشر بأعماله وانجازاته ، في حين عرفه اخر بانه الشخص المشهود له بالشجاعة والنبل وهو صاحب العظمة الذي تسنده الالهة وانصاف الالهة في خطواته[٣] وبذلك اتفقت ضمنياً على انه شخص له ملامح جسدية ونفسية يتميز بها عن غيره من الناس وخصائصه تلك شديدة الصلة بالشجاعة والفروسية[٤] .

ثانياً: مفهوم البطل في الرؤية الاسلامية :

كان لمفهوم البطولة في هذه المرحلة رؤية جديدة تختلف عن التاريخ القديم من حيث ان الاعمال الاسطورية التي يقوم بها البطل والتي نشأت بسبب العقائد الدينية وبساطة التفكير هي ليست بنفسها ، ومع ذلك فان تلك الافكار لم تنتهي انما وجد بعضها بشكل جديد يتناسب مع العقيدة الاسلامية وكما معروف ان العرب يفتخرون بأنسابهم وامجادهم كثيرا لذلك استعملوا القصص والحكايات في هذا الجانب وفي بعض الاحيان استعملوها للمسامرة في مجالسهم وذلك من اجل المتعة الفنية والادبية[٥] .

اجتمع للعرب والمسلمين تراث قصصي كبير كان مهما للرواة والمؤرخين ولهذا تداولته الروايات في العهدين الاموي والعباسي وكان موضوعه اخبار العرب وايامهم وحروبهم فضلا عن اختلاطهم بأجناس مختلفة من الفرس والهند والروم فاقتبسوه من آدابهم ومزجوه بتراثهم بما يتماشى مع نظرتهم للحياة ومعتقداتهم وعاداتهم مما ولد اهتمام كبير فيه من قبل العرب المسلمين لكونه يتماشى مع طبيعتهم في البحث عن الشهامة والتضحية ، الامر الذي جعل من تلك القصص البطولية وعناصرها من الشخصيات العظيمة موضع انجذاب العقول والقلوب فكان الحديث بحميد خصالها ومجيد افعالها وتغلبها على المصاعب الى غيرها من البطولات ، وبذلك خرجت هذه الشخصيات عن طابعها التاريخي الواقعي الى الواقع الاسطوري المليء بالخيال[٦] .

كان للعصر العباسي دور كبير في زيادة الاتصال بالشعوب الاخرى والتعرف على حضاراتهم وبلغ غايته في بيت الحكمة ببغداد ايام الخليفة المأمون حيث بدأت خلاله ترجمة عدد كبير من الكتب اليونانية والرومانية التي اهتمت بالدراسات العقلية والعلمية من كتب الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضية[٧] ، الا ان ذلك لم يحدث التغيير الواضح في الفكر العربي الذي ظل منطويا على ذاته[٨] حتى جاءت التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في اوائل القرن العشرين لتحدث التطور في النظريات التفسيرية لحركة التاريخ ومنها النظرة للبطل التي لم تعد تختصر على صاحب القوى الخارقة انما ذلك الرجل الذي يحقق اعمال كبرى يبقى اثرها التاريخي ليومنا هذا[٩] .

ويظهر من السابق ان مفهوم البطل عند العرب المسلمين قد تدرج من الرجال اصحاب القوى الخارقة المرتبطين دينيا بقوى الالهة او الله بتأثير التراث القصص الذي ورثوه فضلا العقيدة الدينية حتى العصر الحديث الذي بدأت فيه الرؤية تكون بالأشخاص العاديين اصحاب الانجازات الكبرى الذين غيروا مسار التاريخ وادهشوا الجميع بأعمالهم .

المستشرقين :

تعددت النظريات التي كتبها المستشرقين في معنى الرجل البطل وتبدا منذ ايام ارسطو الذي يعود له الفضل في تحديد ملامح البطل التراجيدي والذي يعود الى قبل ٢٠٠٠ سنة [١٠] في حين راى اصحاب الفلسفة الحديثة ان البطل لم يعد ذلك الشخص المتميز ذو الطبيعة الالهية وهو ما كان سائدا قبل القرن التاسع عشر انما هو الكائن

الطبيعي الذي يمكن دراسته مثل بقية الكائنات الاخرى وكذلك يمكن معرفة قدراته التي ترجع في الاغلب الى عاملين هما الوراثة والبيئة وبذلك اصبح البطل من عامة الناس ومن اضعف الطبقات الاجتماعية .

كذلك عرفه علماء النفس بانه فردا حقيقياً او اسطورياً ، حيا او ميتاً ، يقوم بالدور الاجتماعي والثقافي المؤثر سواء في الماضي او الحاضر في حين يرى علماء الاجتماع ان البطل مرتبط بعامل المجتمع والبيئة فهو فرد اسطوري او حقيقي حي او ميت يرمز الى جانب من جوانب القيم السائدة في ثقافة معينة ، والفرد الذي اصبح بطلاً يمكن ان يكون قد حقق المزايا التي ارتبطت به او لم يحققها ولكن الاشخاص الذين يقدسونه ينظرون اليه باعتباره كائنا سامياً او مخلوقاً متفوقاً او روحاً خارقة للعادة ولذلك يرتبط في اذهان الجماعة بالمثال والقوة .

ولفهم البطل الاسطوري نادى علماء الاجتماع بضرورة الاطلاع على القصص الشعبية بأنواعها لأنها تعود الى الاسطورة وهم هنا لا ينظرون اليها من خلال حياة الفرد انما من خلال علاقتهما بالطقوس الجماعية فالأساطير ماهي الا تجسيما لذلك الوعي المذكور ، ومن هنا فالبطل الاسطوري الذي تحل فيه القوة يقوم بتحويلها الى خليفته راضيا لانه يفتدي جماعته ولا اعتبار في ذلك لذاته وهو ينحدر من اصل ملكي وان كانت نشأتها يشوبها الغموض من حيث الاصل الالهي ام لا وهو هنا متوافق مع الالهة التي تحيطه بقوتها الخارقة ورعايتها بحيث لا يشعر بوجوده الفردي بقدر ما يعمل للجماعة ويضحي لاجلها مثل القربان وهذا هو الهدف من وجوده . وهذه الرؤية تختص بالمؤمنين بالعقيدة المسيحية والمرتبطة بشخص السيد المسيح .

اما واضع النظرية الحقيقية والشاملة لمفهوم البطل التاريخي هو توماس كارليل الذي حدد المفهوم الصحيح والشامل لكل الاراء القديمة والحديثة حين راى ان صورة البطل لا تخرج عن خمسة فأما ان يكون اله او رسول او قسيس او كاتب او شاعر .

ويظهر من السابق ان مفهوم نظرية البطل اختلف من عصر لاخر تبعا لثقافة المجتمعات وعقائدهم هذا من جهة كذلك يمكن الاستنتاج ان هذه النظرية هي نسبية تختلف من شخص الى اخر من حيث الانجازات التي تبقى خالدة في افكار الناس والتاريخ سواء في جانب واحد او مجموعة جوانب لمجتمع معين او امة بأكملها سواء على الصعيد السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي او العلمي او الادبي وهو ما اشار اليه توماس كارلايل في تعريفه الذي جعل البطولة تبدا من الالهة وتنتهي بالشاعر فهي قد تصدر من الالهة او قد تكون في الانسان العادي .

المبحث الثاني : نشأة البطل جنكيزخان :

ولد تيموجين المعروف بلقب (جنكيزخان) في اقليم منغوليا[١١] سنة ٥٤٩هـ/١١٥٥م ، وكان والده يوسكاي زعيما لقبيلة قيات المغولية وهو الوارث الفعلي لهذه الزعامة فكان مطاعا من جميع اعمامه وابنائهم وكان معروفا بشجاعته وبسالته وسطوته على كل القبائل المغولية حتى ذاعت شهرته في الافاق فصار مهابا من الجميع [١٢].

تكونت ملامح شخصية تيموجين البطولية من خلال نشاته التي مرت بسلسلة من الصعاب التي استطاع تجاوزها بقوته وارث زعامته فمنذ ولادته كان والده يقاتل احدى قبائل التتار[١٣] القوية وقد حقق الانتصار عليها فما

ان عاد حتى وجد زوجته قد ولدت ولدا فسماه تيموجين[١٤] تخليدا لهذا الانتصار[١٥] ، ومما يروى ان هذا الطفل كانت في قبضة يده قطعة من اللحم المتجمد كانها حجر احمر الامر الذي دل عندهم على ان حياة المولود ستكون مليئة بالبطش والجبروت [١٦].

نشأ تيموجين في احضان امه هولون وشب بين ابناء عشيرته يستمع الى احاديثهم عن الحرب والسلب والى قصصهم وخرافاتهم وما ان قويت ساقاه على حمله وصلب عوده واشتد ساعده فكان عليه ان يحرس الخيل ويعتني بعدتها ويقف على الماشية في مراعيها في طلب الكلا حتى اذا ما استوى رجلاً شارك فيما يشارك فيه الرجال وسهم معهم على الجبال في ليالي الشتاء القاسية وسط العواصف الثلجية الطاغية وما من مخبأ يستترون فيه او نار تبعث الحرارة في اوصالهم يصبر على الجوع كما صبر على البرد ويصمد للشدائد لا يجزع ولا يلين[١٧] ولما بلغ تيموجين التاسعة من عمره ١١٧٦م صحبه ابوه يوسكاي لزيارة اخواله فالتقى اثناء الرحلة بأحد زعماء المغول القنقرات فتنبأ لتيموجين بمستقبل باهر ولهذا حرص على ان يزوجه من ابنته بورته التي لم تتجاوز العاشرة من عمرها[١٨] في وقت ظهرت عليه ملامح السطوة والزعامة اذ كان قوي البنية فارع الطول ممتلئ الجسم صلب العود ، فضلا عن رجاحة عقله وحسن تدبيره وحيلته وهي من الصفات التي اسست ملامح شخصيته البطولية[١٩] .

لم يلبث يسوكاي اثناء عودته من هذه الرحلة ان تدهورت حالته الصحية وتوفي وكان هذا الخبر مفاجئا حتى قيل انه قتل مسموما من التتار وذلك سنة ٥٧٠هـ/١١٧٦م[٢٠] .

تركت وفاة يسوكاي حملا ثقيلا ومسؤولية كبيرة على تيموجين الابن الاكبر الذي لم يتجاوز العشر سنوات منها ان يتولى مسؤولية تزعم قبيلة قيات خاصة بعد ان رفعت بعض القبائل راية العصيان [٢١] ولم تكتفي بذلك انما اخرجوه وعائلته من المنطقة وشردوهم[٢٢]، كذلك انفضت عنه اكثر الاقارب والاتباع واعلنت التمرد والعصيان ورغم نشاط امه هولون ورجاحة عقلها وبعد نظرها تخلى عنه ايضا من بقي من اتباع ابيه وهنا بدا الكفاح الحقيقي لتيموجين في بناء مجده[٢٣] .

ظهرت في هذه الظروف احقاد القبائل وعلى الاخص التايجوت[٢٤] وانكروا زعامة تيموجين وعندما احتج عليهم بزعامة والده احتج عليه العصاة المتمردين ((**ان اشد الابار عمقاً قد يصيبها الجفاف ، وان اشد الحجارة صلابة قد تنكسر ، فلماذا نتعلق بك**)) [٢٥] ومن حينها تعرض مع اخوته وامه لغارات التايجيوت الذين حرصوا على اذلالهم فلم يسع تيموجين واسرته الا ان ينتقلوا بمعسكرهم الى جبال بورقان كالدون والى جبل كنتاي الذي يتمتع بالقداسة عندهم وهو ما زادت اهميته فيما بعد عند تيموجين حيث اعتقد انه قد حماهم من الاعداء[٢٦] .

اصبحت اسرة تيموجين فقيرة مشردة لاتجد من يدافع عنها ولا تعرف الى اين يقودها مصيرها المجهول[٢٧] وحينها بذلت امه هولون كل ماتستطيع من جهد لاجل الحصول على الطعام الضرروي لافراد اسرتها فصارت تبحث عن الثمار وكل ماينبت بالارض من خضروات وكانت تعمل قدر الامكان على زرع المودة بين كل ابناء يسوكاي

ومن كل زوجاته فلما وقع الخصام بين ابناء يسوكاي الاشقاء والذي اسفر عن مصرع احدهم واسمه بكتار وكان من زوجة اخرى فقد انفجرت هولون في وجه ولديها تيموجين وكاسار اللذين تسببا في هذه الحادثة .

يبدو ان تيموجين بدا بتصفية أي منافس له من اخوته ولهذا بدا بالاتفاق مع اخيه كاسار ضد بكتار فقتلا شقيقهم اثناء قيامه برعي الخيل حيث ضرباه بالسهم واوقعاه صريعا مضرجا بدمه[٢٨] وهناك من يرى ان سبب هذه الحادثة انما هو انعكاس للحياة البائسة للأسرة وما كانت تكابده من الام الجوع والحرمان[٢٩] .

اثارت هذه الحادثة المؤلمة فغضبت امهم هولون غضبا شديداً وخاطبت ابنيها وعلى الاخص تيموجين قائلة **((ايها القتلة فحين ولدت ياتيموجين كنت تقبض على قطعة دم متجمدة ، لستم الا نمرة تنقض على فريستها ولستم الا كالاسد الغاضبة ولستم الا كالبزاة تحلق في الجوزاء فوق ظلالها وكالابل تقضم في اثناء غضبها ابناءها ، وكالذئاب التي تنقض على فريستها في غمرة العاصفة ، فليس لدينا فيما عدا ظلالنا رفاق وما تعرضنا له من الشرور على ايدي التايجيوت بلغ من العنف ما لانستطيع تحمله فلا بد من الانتقام منهم))** [٣٠] .

لم تكن هولون تدرك طموحات تيموجين وطريقة تعامله مع خصومه سواء كانوا من اهله او من البعيدين على اسرته فكيف لتيموجين ان يمضي الى مواجهة التيابجبوت وهذا اخوه (بيكتار) يريد ان ينتقص منه ويهون من امره ولهذا كانت للام عاطفتها وللابن سياسته وطموحه حيث كان مملوءا حقدا على التايجبوت واملا في القضاء عليهم ولكنه في الوقت نفسه كان مؤمنا بان النصر على عدوه لن يكتب الى بالنصر على معارضيه من ابناء قبيلته وضمهم الى طاعته ففعل ما فعل باخيه وهكذا وطد تيموجين لهيبته في نفوس قومه ووطد لها في نفوس اهله واخوته وعلمهم بهذا الدرس القاسي ولنفس المصير لمن يخرج ضده[٣١].

استمرت حالة الضعف التي مرت بها اسرة تيموجين مدة ليست بالقليلة فقد تعرضت الى هجوم قبيلة (الطارجين) الخصم التقليدي لأسرة قيات وحينها وقع تيموجين في الاسر الا انه سرعان ما تمكن من الهرب وعمل مباشرة على الدخول في تبعية زعيم الكرايت وانغ طغرل الحليف التقليدي لوالده وذلك للاحتماء به[٣٢] .

استمر تيموجين واخوته بمواجهة الصعوبات التي تواجههم ففي احدى المرات تعرضوا الى سرقة افراسهم بغتة واصر حينها تيموجين على اعادتهم والبحث عن السراق وبعد بحث استمر مدة اربعة ايام التقى بغلام تبدو عليه صفات الشجاعة والنبل اسمه بورتشو احس بالميل والعاطفة نحو تيموجين فاشترك معه في البحث عن الافراس حتى عثرا عليها وحينها دخلوا في مواجهة السارقين وكان لبطولة وبراعة تيموجين دور كبير في حسم المواجهة وارجاع الخيول وقويت حينها الصداقة بين تيموجين وبورتشو وكانت بداية لامجاد بورتشو المقبلة[٣٣] .

وكل هذه التقلبات التي مربها تيموجين في شبابه من محن عصيبة من تحمله للمناخ القاسي حيث البرد القارس والحرارة الخانقة وكذلك الجوع والحرمان لعدة ايام فضلا عن الهجمات التي تعرض لها مع اخوته والتي

تسببت لهم بالكثير من الالام والصعوبات[٣٤] الا ان صفات القوة والصلابة التي تمتع بها جنكيزخان جعلته يقف بمواجهة كل تلك الظروف القاسية التي لم تقلل من عزمه انما اظهرت بطولته ومواهبه في القيادة والاعتماد على الاتباع المخلصين الشديدي الولاء له وهذه هي من طباع سكان الخيام المحبة الشديدة للأصدقاء التي لا يضارعها الا الكراهية البالغة للخصوم[٣٥] .

تسلمه السلطة :

بدأت احوال جنكيز خان بالتحسن والاستقرار وبدا امره يشتهر بفضل صداقاته واثبات وجوده وبفضل النصائح التي قدمها له طغرل ملك الكرايت والذي دان له تيموجين بالتبعية كذلك انحاز له زغيم مغولي اخر اسمه جاموكا رئيس قبيلة جاجيراتا فقامت بينهما علاقات المحبة والود غير انها لم تستمر طويلا اذ لم يلبث ان دب بينهما الخلاف وانفرط عقد التحالف وايا كان فان شخصية تيموجين واصول اسرته قد جلعت القبائل تتنبا بزعامته مما زاد انحياز القبائل والعشائر الى جانبه ومن الذين انحازوا اليه اربعة امراء من المغول يجري في عروقهم الدم الملكي بعد ان انفصلوا عن جاموكا[٣٦] .

كان جاموكا ملك الجاسيرات معاديا لتيموجين الا انه بنفس الوقت لايرغب بالصدام معه وهذا الموقف لم يمنع من حدوث الصدام بسبب سرقة تايشار الاخ الاصغر لجاموكا لقطيع من الخيول التابعة لرجل جلائري مغولي اسمه جوجي كان يتبع تيموجين والذي سرعان ما قام بقتل تايشار واسترجاع القطيع الامر الذي ادى الى اعلان جاموكا الحرب ثارا لدم اخيه واستنفر حينها رجال قبيلته وحلفاؤه جميعا وزحف بهم اتجاه المكان الذي يعسكر فيه تيموجين في جبال جوريلجوا في وادي نهر سبنجور الاعلى وحينها نشبت المواجهة في موقع الات بالغوت[٣٧] قرب منابع نهر اونون وانتهت بانتصار تيموجين فكانت البداية الحقيقية لطريقه في البروز واثبات وجوده[٣٨] .

لم تثني هذه الحادثة من عزيمة تيموجين الذي سرعان ما اعاد سطوته وسيطرته على القبائل المغولية واعاد ترتيب قوة جيشه وكان الوقت قد حان لاختيار الخان الاعظم للمغول وجرت المشاورات بين الامراء الاربعة لاقدم الاسرات الملكية واعرقها نسبا ، كما هو معروف لديهم واستقر رايهم على تيموجين خانا على المغول وهو صاحب الاصل الرفيع من هذه الاسرات والذي اثبت جدارته خلال هذه المرحلة وحينها اطلقوا عليه اسم جنكيزخان[٣٩] وتم ذلك باجتماع القبائل المغولية وتحت اشراف وتنصيب رجل الدين المعروف عندهم ب(الشامان) [٤٠] وكان هذه الاختيار ضروريا كما يراه الامراء بسبب الظروف العصيبة من فوضى وفتن ادت الى مواجهات قوية بين القبائل المغولية مما استدعاهم الى توحيد الجهود لاعادة هيبة المغول وتحقيق الاستقرار وذلك تحت سطوة اسرة قيات العريقة والترقب لفرض السلطة على التتار الذين اذاقوهم الويلات في الكثير من المواجهات [٤١].

كان لصفات جنكيز خان البطولية دور مهم في بروزه وزيادة طموحاته حيث بدا يتجه بانظاره نحو الصين التي كانت تؤلب صدور القبائل عليه بحث راى من الضروري زوال هذه الخطر من امامه وليبدا طريقه الطموح في التوسع والسيطرة[٤٢] .

حملات جنكيزخان على الصين :

كانت الصين اول هدف لحملات جنكيزخان الحربية والمعروف انها انقسمت قسمين : الصين الشمالية وعاصمتها ينكين بالقرب من بكين وكانت تحت حكم اسرة كين والصين الجنوبية واكبر مدنها هانج شو ، وهي تحت حكم اسرة سونج والتي كان لها من السلطة والسطوة على التتار والمغول ولهذا بدا جنكزخان هجماته عليها وتمكن في اول مواجهة معها انزال هزيمة قاسية اضطرت على اثرها الاذعان والتبعية وذلك سنة٦٠٧هـ/١٢١١م [٤٣].

بدا جنكيز خان مع ابنه تولوي تحركه الثاني بثلاث جيوش ضخمة في سنة ٦٠٩هـ/١٢١٣م باتجاه مناطق الجنوب الغربي من منغوليا في حين وجه ابناءه الثلاثة الاخرين (جوجي ، جغتاي ، اوكتاي) على راس جيش اخر ليؤلف الجناح الايمن لجبهته وحينها سارت الحملة نحو الجنوب بينما ارسل من تبقى من القوات تحت قيادة اخوته الى الشرق في المناطق المتبقة لإخضاعها من الصين. ولم يتوقف ذلك الجيش الا عند مرتفعات شانتونج [٤٤] .

كذلك قام بأرسال مبعوثا الى امبراطور الصين سنة٦١٠هـ/١٢١٤م قائلا له ((**كل ما تمتلكه من في شانتونج من اراضي ، وكل ما يقع شمال النهر الاصفر من بلاد يعتبر ملك لي عدا بنكنج (بكين حاليا) فما اصبحت فيه من الضعف يقابله ما توافر لي من القوة غير انني اتوقف عن المضي في القتال والفتح ، وانه لايتم ذلك الا بشرط واحد ، وهو ان يبذل من الضيافات والهبات لقادتي ورجالي ما يجعلهم يخلدون الى الهدوء والسلام**)) [٤٥] .

كان لوصول تلك الرسالة وقعا على الامبراطور الصيني الذي عقد اجتماعا جمع الامراء والوزراء ليعرض عليهم الرسالة ويستشيرهم بالأمر فاذا هم يشيرون عليه بمواصلة الحرب ضد جنكيزخان لان الرسالة في معناها ضعف كبير الا ان ذلك لم يدفع الامبراطور الصيني الى المواجهة لان وضعه لا يسمح بذلك خاصة وان الامراض قد فتكت بالجنود وخيلهم ولهذا سرعان ما قام بأرسال الهدايا الى جنكيزخان من كل ماعز وطاب من خيول اصيلة ونساء فاتنة واحمال الذهب والحرير فضلا عن الغلمان الذين تجاوزت اعدادهم الخمسمائة وبعث كذلك برساله يعرض عليه الهدنة والتحالف معه [٤٦] .

ومع كل ذلك فان جنكيز خان عبر بقواته السور الكبير واستمر بمواجهة الصينين الامر الذي جعل امبراطورهم ينقل العاصمة من بكين الى كايفونج في هانون حتى يبتعد قدر الامكان عن الحدود المغولية ، وحينها

بدا جنكيزخان بفرض حصاره الطويل على هذه البلاد محاولا كسرها اقتصاديا وذلك طيلة سنة٦١١هـ/ ١٢١٥ حتى عاد الى منغوليا سنة٦١٢هـ/١٢١٦م تاركا نائبه موقلي يتولى المهمة من بعده مما جعل اسرة كين تستغل الفرصة وتعلن المواجهة لتسترجع العديد من المدن التابعة لمملكتهم وظلت الحرب سجالا خلال السنوات٦١٣هـ/١٢١٧ وعام٦١٨هـ/١٢٢٢ ومن جانب اخر فان ملك كوريا الذي سمع بكل تلك الاحداث قد اعلن تبعيته الى جنكيزخان محاولا ابعاد بلاده من هذا الزحف الكبير وذلك سنة٦١٥هـ/١٢١٩ [٤٧].

جنكيزخان وخوارمشاه :

شهدت السنوات الاخيرة لعهد جنكيزخان الثمرة التي انعكست على جميع احوال البلاد من حيث الامن والرخاء وتوفير الامان في جميع طريق الإمبراطورية وخمدت الفتن وعاد التجار يجوبون المقاطعات والمناطق من اقصى الغرب الى مبدا الشرق ويبيعوها باسعار باهضة لذلك حاول ثلاث من التجار وهم احمد بالخج وابن الامير حسين واحمد الخنجدي استغلال الظرف[٤٨] بان يرفعوا السعر اضعافا مضاعفة على جنكيزخان عندما عرضوا سلعتهم وما كان قيمته عشرة دنانير او عشرين دينار الى المئات من الدنانير مما اغضب الاخير كثيرا ليأمر بإحضار الانسجة الموجودة بخزائنه لكي يراها التجار فيعلم ان مثل هذه المصنوعات ليست بالشيء الجديد على المغول وبعدها تعرضت بضاعة التاجر للنهب فكان دراسا لشريكيه اللذين امتنعا عن تحديد ثمن للسلع وادعى بانها هدية للخان وقد فعل هذا فعله في اطفاء غضب الخان[٤٩] فقابل ذلك منحهما مالا كثير واستدعى شريكهم احمد ومنحه مثل ما اعطاهم من الاموال واكرم بذلك وفادتهم مما انعكس ذلك على تقدير المسلمين وكان جنكيزخان يهدف الى توطيد العلاقات التجارية مع المسلمين لما امتازت به بضاعتهم من تميز وجودة ولهذا نجده جدد ارسال عددا من التجار المغول محملين بالاموال والذهب والفضة ليشتروا البضائع والنفائس من خوارزم ووصل عددهم مايقرب من اربعمائة وخمسون رجلا وعادوا محملين بالسلع التي ارادها المغول ملبين في ذلك رغبة الخان في التخلص من البضائع السيئة ومن مشكلات التجار الوافدين[٥٠] .

ارسل جنكيزخان سفارة مهمة الى خوارمشاه تحمل هدايا ثمينة من الذهب والاحجار الكريمة والمسك والاثواب المصنوعة من وبر الابل والتي لا تهدى الا للسلاطين وحينما وصلت استقبلها خوارزمشاه في مدينة بخارى وكانت مع هذه الهدايا رسالة من جنكيزخان جاء فيها :((**لا يخفى على عظيم شانك ، وما بلغت من سلطان ، وقد علمت باتساع ملكك ، ونفاذ حكمك في اكثر اقاليم الارض ، وان لأرى ان مسالمتك من جملة الواجبات وانت عندي مثل اعز اولادي ولا يخفى عليك انني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك ، وقد اذعنت لي قبائلهم وانت اخير الناس بان بلادي منارة العساكر ومواطن معادن الفضة وان مافيها مايغنى عن طلب غيرها فان رأيت ان نهيئ للتجار في الجهتين سبيل التردد عمت المنافع وشملت الفوائد**)) [٥١] ولكن خوارزمشاه لم يوافق على عقد معاهدة

مع جنكيز خان الا بعد ان شرح له محمود الخوارزمي صاحب السفارة ما حدث من استيلاء جنكيزخان على الصين وبكين وما لديه من قوات ضخمة ومع ذلك احس بالإهانة من اعتباره احد ابناء ورأى انه دلالة على العلاقة بين التابع والسيد ومع هذا فالأمر لم يؤدي الى الشقاق بين الطرفين بفضل لباقة محمود الخوارزمي الذي اقنع خوارزمشاه بعقد المعاهدة [٥٢] .

رجع السفراء الى جنكيزخان بالمعاهدة المعقودة لتنطلق حينها قافلة تجارية نحو خوارزم لمواصلة النشاط التجاريالا ان الوضع سرعان ما انقلب راسا على عقب بسبب ما تعرضت له هذه القافلة من مذبحة في اترار سنة٦١٤هـ/١٢١٨ الحدودية التابعة وكانت تضم في مجموعها عدد كبير من التجار المسلمين بلغ عددهم ٤٥٠ رجل و ٥٠٠ جملا وكانت محملة بالبضائع من الذهب والفضة والحرير الصيني وكان يتراس تلك القافلة اربعة من التجار وهم(عمر خواجة الاترراري) و(الحمال المراغي) و(فخر الدين الديزكي البخاري) و(امين الدين الهروي) وقد جرى اعتقال جميع هؤلاء التجار في هذه المدينة اترار واعتبروهم جواسيس بامر من حاكمها اينالجق الذي يحمل لقب (قايرخان) [٥٣] وهناك سبب اخر للاعتقال تمثل بطمع الحاكم في سلع التجار ولذلك اخبر السلطان محمد خوارزمشاه انهم جواسيس فامر حينها باعتقالهم [٥٤].

كذلك من اسباب سوء العلاقة مضمون الرسالة التي بعثها جنكيزخان اليه والتي بيناها مسبقا ، فضلا عن تدخل الخليفة العباسي الناصر لدين الله حين دعا المغول لقتال خوارزمشاه لما كان بينهما عداوة مريرة[٥٥] .

وايا كان فان حاكم اترار قاير خان امتثل لامر السلطان الخوارزمي حيث قتل جميع السفراء واستولى على اموالهم ولم يعلم ان دمائهم ستحول الدنيا الى خراب وتدع الناس بلا ماوى وستصبح كل شعرة في رؤوسهم تعادل مئات الالاف من الرؤوس ، وكان احد تجار السفارة قد استطاع الهرب والعودة الى الخان ليحكي المجزرة التي ارتكبت برفقائه[٥٦] .

لم يكن جنكيزخان متسرعا بعد هذه الحادثة وهو على ماتصف به من الاتزان والتعقل اذ ارسل الى خوارزمشاه سفارة مؤلفة من ثلاث رجال يوصلوا احتجاج المغول للسلطان الخوارزمي على الغدر برجال القافلة ومبعوثيه وتطلب اليه تسليم حاكم مدينة اترار فلم يسع خوارزمشاه الى ان زاد الامر سوءا بقتل احد افراد هذه السفارة والقبض على الاخرين وهما من التتار ووجه الاهانة بطريقة احلاق لحاهما واطلاق سراحهم ، وحينها صار لزاما ان تتحرك الجيوش لقتال خوارزمشاه وكانت الاستعدادات المغولية كبيرة واكبر من قوة اعجائهم بأضعاف خاصة اذا علمنا ان الدولة الخوارزمية كانت تعانا ضعفا ونزاعا داخليا لم يكن معروفا عند الخان المغولي ومن جانب اخر فان الاخير كان منشغلا في صراعه مع كولجك في تركستان[٥٧] فلم يرغب في المواجهة الا بعد ان اخضع هذه المملكة

لقوته وثبت سلطانه فيها بسهولة لان اهلها تعرضوا للكثير من الاضطهاد الديني على يد القائد المغولي كولجك[٥٨] .

حرص جنكيزخان على ان يتولى بنفسه قيادة الحملة نحو الدولة الخوارزمية وكان بصحبته ابناؤه وكل جيوشه الاساسية ، وكانت التقارير تصله باعداد قوات خوارزمشاه وخططه العسكرية ، ولهذا كانت خطواته محسوبة حيث امضى صيف عام٦١٥هـ/١٢١٩ على نهر ارتش ثم تقدم بجيوشه في الخريف الى فاياليق فانحازت اليه وكذلك الكثير من الامراء المسلمين مثل الخان ارسلان امير القاولوق ، ويبدو ان سياسة جنكيزخان في طريقة زحفه كان لها تاثيرا كبيرا في المكاسب التي حققتها من خلال استعماله التجار المسلمين وسطاء بينه وبين السكان الاصليين وذلك لكسبهم سياسيا ، فان خطته لا تقوم على الحرب فقط وانما اخضاع المناطق سلميا في كثير من الاحيان .

لم تكن قوات جنكيزخان تتفوق عدديا في هذه المواجهة حيث بلغت القوات مابين ١٥٠ الى ٢٠٠ الف رجل في حين كانت قوات خوارزمشاه تفوقه في العدد حيث تصل الى ٤٠٠ الف مقاتل غير ان الاخير لم يستفد من هذه الميزة لما كان بينه وبين قادته من علاقات عدائية اضرت كثيرا بالمواجهة[٥٩] .

البطولة في الانجاز الحضاري :

امتلك هذا القائد المغولي الكبير رؤية ادارية متميزة برزت من خلال التنظيمات التي اقامها والانجازات التي قدمها ، فهو لم يكن بطلا سياسيا وعسكريا فحسب انما امتلك رؤية ادارية واضحة من خلال الخطوات التي اقرها خلال مدة حكمه .

اولا: تنظيمات البلاط :

كان جنكيزخان يدرك حجم المؤامرات التي تحاك ضده ولهذا عمل على تقوية حرسه واختيارهم ولهذا احاط نفسه بمجموعة من الرجال المخلصين الموثوق بهم واعتمد عليهم في ادارة شؤونه الخاصة وتنفيذ اوامره وهنا ترد الاشارة في المصادر المغولية الى وظيفة الاشخاص الذين شغلوا المناصب المدنية والعسكرية التي ابتدعها في البلاط وهي

- اربعة رجال وظيفتهم حمل القسي والسهام وهو ما عرف باسم قورجي أي رامي السهام .
- اربعة مشرفين على الطعام والشراب وعرف الواحد منهم باسم الباورجي .
- مشرف على تجهيز العربات وعرف باسم تركين وقد عين فيما بعد قائدا ووظيفته الاشراف على الخيل .

- مشرف على موظفي الخاصة وعرف باسم جربي .
- اربعة رجال وظيفتهم حمل السيوف في مكان واحد .
- مشرفان على تدريب الخيل .
- ثلاثة مشرفين على قطعات الخيل في المراعي .
- اربعة اسهم قريبة وبعيدة وهم اشخاص شغلوا وظيفة الاضطلاع بمهام شخصية للخان كمنصب السفارة .
- مستشاران من النبلاء والشيوخ او المحافظين لحفظ النظام اثناء الاجتماعات[٦٠] .

اما الحراس الشخصيون فقد تم تنظيم الامر منذ عام٥٩٩هـ/١٢٠٣م بعد انتصاره على قبيلة الكرايت وذلك عندما اصبح تيموجين الشخصية الاولى بمنغوليا الشرقية وحينها تم اختيار سبعين رجلا للحراسة النهارية وثمانين للحرس الليلي الشخصي واطلق على المجموعة الاولى اسم ترولوت وعلى الثانية اسم كتبووت وكلتا المجموعتين كانت تكون حرم الحماية وكان الحرس يضم مجموعة مهام منها (قورجي) [٦١] و(باروجي) [٦٢] و(اودن) [٦٣] اما شؤون القصر و متطلباته فكان يديرها الجربي الذي رفع عددهم الى ستة رجال[٦٤] .

اوجد جنكيزخان سنة٦٠٢هـ/١٢٠٦ تنظيما جديدا للحرس بعد التغلب على النايمان وقتل جاموكا فرفع عددهم اولا الى ثمانمائة رجل ثم الى الف وبعد ذلك ضم اليهم ستة الاف حارس ثم بعدها زاد العدد الى عشرة الاف رجل وتمتع رجال الحرس بامتيازات كبرى بوصفهم مقربين من الخان ومنها :

١- يحتل الجندي المقاتل من رجال الحررس رتبة اعلى من قائد الالف في الجيش اما الجندي الجندي غير المقاتل فيحتل رتبة اعلى من قائد مائة .
٢- لايشارك الحرس في القتال الا اذا كان الخان طرفا في الحملة .
٣- لم يكن من حق قادة الحرس ماقبة مرؤوسيهم كما يشاؤون بل عليهم رفع جميع تصرفاتهم الى الخان .
٤- يتمتع رجال الحرس بالاحترام والتوقير اكثر من غيرهم .
٥- يحيط رجال الحرس بخيمة الخان اثناء العمليات العسكرية[٦٥] .

التنظيمات العسكرية :

اقام جنكيزخان الجيش المغولي على نظام الوحدات القتالية حيث يتقسم من عشرات ومئات والوف وعشرات الالوف من العساكر بحيث لكل منها قائد ، وفيها شكل امرا النويان او النوين وهي الوحدة التي تضم عشرة الاف

مقاتل وكانت تحت قيادة ابنه (تولوي) [٦٦] الذي لقوب بالنوين الاكبر كما حمل هذا اللقب اخو الخان الاصغران (تيموغا وبلغوفاي) كذلك حمل افراد الارستقراطية العسكرية لقب طرخان[٦٧] كما هو الحال عند الترك[٦٨] .

منحت الطبقة العسكرية مجموعة من المميزات نذكر منها :

١- الاعفاء من الضرائب .
٢- ان يكون لها الحق في الغنائم التي تقع في ايديهم في الحرب او الصيد .
٣- يمكنهم دخول البلاط في أي وقت يشاءون دون اذن خاص .
٤- غير مسؤولين عن جريمة يرتكبونها الا عند الجريمة التاسعة .
٥- يحتل الطرخانات في المادب مواضع الشرف ويقدم لكل واحد منهم كاس من النبيذ [٦٩].

عمل جنكيزخان على تقوية جيشه من خلال تزويدهم بالعدة الكاملة والجديدة من رماح ودروع ثقيلة فضلا عن التروس وكانت هذه الاسلحة توضع في ترسانة خاصة وتكون بعهدة ضابط يقوم بالاعتناء بها ومن ثم توزع على المقاتلين عند الاستدعاء للحرب ويتم الاستعراض بها مع حامليها بعد التوزيع وانبثقت خطط المغول العسكرية من اساليب الصيد وممارساته في السهوب وهي على شكل عصبة الصيد مع قيادتها المركزية من ناحية الانضباط والصرامة والانقياد وهي تزيد من قوة وتماسك الجانب العسكري وهو ما عمل عليه جنكيز خان وانعكس على الفرق العسكرية المغولية بشكل حاسم[٧٠] .

كان للجيش المغولي نظام بسيط يقوم على وحدات مؤلفة من عشرات ومئات والوف العساكر وما اشتهر به هؤلاء من سرعة التعبئة وقوة المواجهة التي لا تقهر فملئت قلوب ضحاياهم خوفا ورعبا فكانوا يبادرون الى الهجوم قبل ان يبلغ العدو التحذير والانذار ويضاف الى ذلك ما اشتهروا به من استعمال التجار في نقل المعلومات والتجسس لصالح عملياتهم العسكرية[٧١] .

تعددت الاساليب العسكرية المغولية في اختيار المواجهة وفي الاستعداد اليها نذكر منها طريقة الاقتراب قدر الامكان في الاعشاب الكثيفة وشن الهجوم المفاجئ كالمثقب بغية اختراق صفوف الاعداء وكان الخان بدوره يراقب مجريات المواجهة من اقرب المرتفعات المشرفة ، وتبدا التعبئة على ثلاث وحدات عسكرية تكون الاقل عددا تحت اشراف الخان المباشرة وتتالف من اشد المحاربين مقاومة وتكون في قلب الجيش في حين تنتشر الوحدتان الرئيستان على جانب القلب يمينا وشمالا ، وكانت الاشارة قبل المعركة تكون بدق طبول الخان ، وينشد المحاربون ويعزفون على اله شجية ذات وترين لدق موسقى الحرب ، ومن الجدير ذكره ان المغول لايحاربون في النهار اما ليلا فيتوقفون عن المواجهة[٧٢] .

وتظهر هذه التنظيمات الادارة الناجحة والتخطيط السليم الذي مزج ما بين طريقة المغول في الحرب وما بين استغلال موقع المواجهة مستعملا طريقة جدا مؤثرة وناجحة في كل المواجهات وهو اسلوب المباغتة الامر الذي حقق انتصارات باهرة اظهرت القوة والبطولة التي يمتلكها .

الانجازات الاخرى :

اهتم جنكيزخان بتطوير الجانب الثقافي عند المغول ولهذا وجه اصحاب الشعوب التي خضعت الى سلطته ان تعمل على تطوير المجتمع المغولي الذي يعاني من تدني تعليمي وحضاري واضح حتى عند مقارنتهم بابناء عمومتهم من الكرايت والنايمان ونتيجة لهذا الواقع عمل جنكيزخان على الافادة من الشعوب التي خضعت للمغول وعلى الاخص الصينين وذلك منذ عام٥٩٩هـ/١٢٠٣م عندما اعتمد عليهم في وضع الحرس الملكي ، كذلك امر اولاد المغول بتعلم الكتابة الايغورية[٧٣] حيث لم يكن له رسم خاص للكتابة ولهذا يعد الايغور اول المعلمين داخل الامبراطورية المغولية [٧٤].

اتخذ جنكيزخان الابجدية الايغورية للكتابة وهدف من ذلك مجموعة امور اضافة الى تثقيف المغول وتعليمهم والامور هي :

١- تدوين تعاليم جنكيزخان أي العرف والتقاليد الشعبية التي اكسبها هذا الزعيم صبغة القانون ، والتي كان احترامها مفروضا على جميع سكان الامبراطورية وعلى الخانات انفسهم .
٢- تسجيل امجادهم الماضية وبطولات اسلافهم حتى لايطويها النسيان[٧٥] .

اهتم قائد المغول العظيم جنكيزخان بتطوير الحياة المغولية ولهذا اهتم بالعلماء الذين وقعوا تحت سلطته وكان (بي ليوجيوتساي) وهو من اهالي الصين الشمالية ومن اهم الاشخاص الذين اثرو في حياة جنكيزخان اذ اشتهر بما حصل عليه من ثقافة عالية ، وبما درسه من الحكمة وعلوم الفلك والجغرافية والادب ثم تولى الادارة المدنية في بكين عام٦١١هـ/١٢١٥ وسرعان ما لبث ان وقع في اسر المغول في هذه السنة حينما سقطت المدينة في ايديهم فامر جنكيزخان بأطلاق سراحه وادخله في خدمته ورفع من منزلته على الرغم من ان المغول لم يستخدموا الابجدية الصينية الا بعد عام٦١٥هـ/١٢١٩ ولهذا كانت الوثائق السياسية التي ترسل الى الصين يجري تحريرها باللغة الايغورية [٧٦].

قانون الياسا [٧٧]:

يعد جنكيزخان الرائد في كتابة القانون المغولي والذي هو العادات والاعراف المغولي التي ثبتها في قانون سمي بـ(الياسا) حيث كان المغول قبل ذلك يعتمدون على ما ورثوه من الآداب والتقاليد المختلفة ، فلما جاء هذا الرجل

العظيم اعاد النظر فيها وعمل على تعديل الكثير منه بالحذف والاضافة وجعل لها صفة رسمية لكونه امر بتدوين تلك الاحكام والاحتفاظ بها في خزائن امراء المغول وان التجارب التي عاشها جنكيزخان والشدائد التي عاناها وما تعرض له من المؤامرات والخيانات وما صادفه في حياته من متاعب وما قام به من حروب كل ذلك كان له اهمية في كتابة احكام الياسا فلا بد ان يشمل هذا القانون على عقوبات بالغة الصرامة حتى يقضي على اسباب الفوضى ولكي يعيد الامن الى نصابه وقد تحقق لجنكيزخان هذا الغرض واستطاع ان يحول جموع المغول الى جيوش منظمة[٧٨] .

كتبت الاحكام بالخط الايغوري واطلق عليها جنكيزخان (كتاب الياسا الكبير) ووجه اوامره بالاعتماد عليها وعلى الخصوص في الاحوال الاتية :

١- عندما يجلس خان جديد على عرش المغول
٢- عندما يعقد مؤتمر عام يحضره الامراء لمناقشة السياسية العامة للدولة .
٣- في حالة بعثه الجيوش والاستعداد للقتال[٧٩] .

ومن ضمن الابواب التي تضمنها القانون المغولي كراهية جنكيزخان لمن يرتكب السرقة والفحش ولهذا انزل اقسى العقوبات بحق مرتكبيها وهو الاعدام وانكر ايضا عصيان الولد لاوامر ابويه ، ومخالفة الصغير للاخ الكبير ، وامتناع الغني عن اعانة الفقير وعدم احترام المرؤوسين للرؤساء ونهى اتباعه عن الاسراف في شرب الخمر[٨٠] .

وسنذكر بعض النصوص التي وردت في القانون وعلى النحو الاتي :

١- من وجد عبدا هاربا او اسيرا قد هرب ولم يرده الى صاحبه قتل .
٢- من اطعم اسير قوم ا كساه بغير اذنهم قتل .
٣- من وقع حمله او قوسه او شيء من متاعه وهو يكر او يفر في حالة القتال وكان وراءه شخص فانه ينزل ويناول صاحبه ماسقط منه فان لم يفعل فجزاؤه القتل .
٤- لاياكل احد من احد ، حتى ياكل منه المناول اولا ولو كان المناول اميرا ومن يناوله اسيرا .
٥- لايختص احد باكل شيء وغيره يراه ، بل يشركه معه في اكله .
٦- لايتميز احد منهم بالشبع على اصحابه وان مر احدهم بقوم وهم ياكلون فله ينزل وياكل معهم وليس لاحد ان يمنعه .
٧- معهم من غسل ثيابهم وليس لاحد ان يمنعهم .
٨- منع من ان يقال لشيء انه نجس فان جميع الاشياء طاهرة .

٩- الزمهم الا يتعصبوا لشيء من المذاهب .

١٠- منع من تفخيم الالفاظ وروائع الالقاب فلا يخاطب الشخص مهما علت مكانته الا باسمه فقط .

١١- الزم القائم بعده (النائب عنه) بعض العساكر واسلحتها اذا اراد الخروج الى القتال وان يعرض كل شيء حتى الابرة والخيط فمن وجده قد قصر في شيء مما يحتاج اليه عرضه اياه فعاقبه.

١٢- الزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال في مدة غيبتهم في القتال .

١٣- رتب عساكره وامرائهم فهناك امراء الوف ،وامراء مئة وامراء عشراوات .

١٤- لابد ان يخضع اكبر الامراء لما يصدر عليه من حكم ولو قام بتنفيذ هذا الحكم اخس من عنده .

١٥- امر السلطان باقامة البريد حتى يعرف مملكته بسرعة .

١٦- امر بتنظيم حلقات الصيد لما لها من اهمية في التدريب على اساليب الحرب [٨١].

اصدر جنكيزخان هذا القانون في عام٦٠٢هـ/١٢٠٦ عقب انتخابه خانا اعظم لانه راى بثاقب فكره ان لا يمكن حكم هؤلاء القبليين المتعطشين للدماء الا بتشريع قانون يلتفون حوله وينزلون جميعا على حكمه ، ولابد ان تكون مواد هذا القانون مشتملة على عقوبات صارمة تطبق على المذنبين من غير شفقة ولا رحمة لانهم ان تركوا وشانهم يحيون حياتهم القدمية فانهم يعودون الى ماكانوا عليه من الفوضى وقتل بعضهم البعض من اجل المراعي والقيام بعمليات السلب ولكن الياسا قد فضت النزاع والخصام بين المغول[٨٢] .

ظلت احكام الياسا موضع اهتمام الاقوام التركية والمغولية حتى بعد ان زالت دولة الايلخانيين في ايران وسار عليها التيموريين في شؤونهم السياسية والحكم في المواليد والحفلات وتسربت بعض قواعدها الى بعض الدولة الاخرى مثل النظم المملوكية والعثمانية [٨٣].

ويتضح مما سبق عبقرية جنكيزخان المؤسس والباني للدولة المغولية من خلال التنظيمات التي احدثها في الجوانب العسكرية والمدنية او تلك التي اقامها في البلاط وما قانون الياسا الا خير دليل على قوة اداراته وقدرته على الحكم فهو رجل صانع التغيير استطاع ان يحول من خلالها اجراءاته القبائل المغولية غير المتحضرة الى مجتمع مغولي يحكمه القانون لينطلق نحو بناء امبراطوريته الواسعة والتي يشهد لها التاريخ وكانت شخصيته العظيمة تتجلى في حزمه فهو القائل (انا على استعداد للتضحية بنصف شعب المغول لكي يستقيم النصف الثاني) .

الديانة :

تمتع جنكيزخان برؤية منفتحة تدل على تنور حقيقي ، فعلى الرغم من الاعتقاد السائد ان ديانته كانت الشامانية وهي الديانة الوثنية المنتشرة بين قبائل المغول ويذكر انه كان يصلي باتجاه جبل يعرف باسم برخان

خلدون الا انه كان متسامحا جدا في الدين ومن المهتمين بتعليم الدروس الفلسفية والاخلاقية من كل الاديان الاخرى ولهذا كان يستشير الرهبان البوذيين ورجال الدين المسلمين والمشرين المسيحيين(٨٤).

وفاتـــه :

اشتد التعب والارهاق على العاهل المغولي في احدى رحلاته الاخيرة ويبدو ان هذا الرجل البطل قد وصل الى نهاية حياته فجلس امام خيمته متدثرا بالاغطية الثقيلة من الفراء والقماش وحينها دخل عليه ابنه تولوي فقال له جنكيزخان : لقد اتضح لي الان انه يجب ان اترك كل شيء وكان في وقتها قد تجاوز السبعين عاما وبالفعل فارق الحياة ولم يعلن ابناؤه خبر وفاته حتى الى اقرب المقربين اليه وتم ابعاد حرسه الخاص عن خيمته ونقلت جثمانه بعربة عبر الاراضي الصينية حتى وصلوا الى منابع نهر كيرولين ليتم الاعلان عن هذا الخبر المفزع على المغول ليبدا العزاء عليه حيث تم نقل جثمانة بين القصور الملكية عند زوجاته لالقاء نظرة الوداع عليه وخلالها توافد زعماء القبائل والقادة من كل مكان لالقاء نظرة الوداع على احد قادة التاريخ المؤثرين وبعد انتهاء مراسيم الحداد نقل الى احد المرتفعات ودفن فيها واخفي قبره بطريقة يصعب الاهتداء اليه وكان ذلك سنة١٢٢٧/٦٢٤ وكانت الامبراطورية في هذا التاريخ تمتد من المحيط الهادي الى بحر قزوين أي تبلغ في حجمها ضعفي حجم الامبراطورية الرومانية ودولة الخلافة الاسلامية (٨٥).

سيظل جنكيزخان صانع مجد المغول ومن اكبر الفاتحين ومؤسس امبراطورية واسعة الارجاء في مدة قياسية لم يكن لها مثيل واستمر وجودها في ابناءه واحفاده وصارت لها سلالات ملكية تحكم في الصين وبلاد فارس وروسيا ومنهم من حكم في اسيا الوسطى لقرون عدة وان لصفات هذه الشخصية الفذة بكل ما حققته في كافة الميادين لايسعنا الا ان نقف كثير عندها وباعجاب من حيث صانع مجد المغول السياسي والعسكري والاداري والتشريعي فجنكيزخان احد ابطال التاريخ .

اشهر اقوال جنكيزخان

١- انا عقاب الله المرسل ، ولم يكن الرب ليرسل اليكم هذا العذاب مالم تكونوا قد ارتكبتم ذنوبا جسيمة .
٢- فلتكون على قلب واحد حتى تقهروا اعدائكم وتعيشوا حياة سعيدة مديدة .
٣- ان تصرفا ناجماً عن غضب هو تصرف محكوم عليه بالفشل .
٤- ليس كافيا ان اكون ناجحا – كل الاخرين يجب ان يفشلوا .
٥- بمعونة السماء قد فتحت لكم امبراطورية عظيمة . لكن حياتي انت قصيرة للغاية لتحقيق غزو العالم هذه المهمة تركت لكم .
٦- انا على استعداد للتضحية بنصف شعب المغول لكي يستقيم النصف الثاني .

٧- اذا جسدي مات ، اسمحوا لجسدي ان يموت ، ولكن لاتدع بلدي تموت[٨٦] .

الخاتمة :

يظهر من البحث ما يأتي :

١- تعرفنا على مفهوم البطل ومعناه النسبي والذي يبرز معياره من كونه صاحب الانجاز وعلى أي صعيد من الاصعدة أي يقتصر على الجانب السياسي انما قد يكون شاعر او فنان او غيرها ، وهنا لابد ان نذكر ان رؤية المجتمعات للبطل تختلف من عصر لآخر لأنها بدأت بالآلهة وتدرجت لتشمل الانبياء حتى وصلت الى الانسان العادي صاحب العمل والانجاز الحقيقي المؤثر .

٢- قوة شخصية جنكيزخان في نشأته وتحمله للمشاق والظروف العصيبة مما يجعلنا نعتقد بأهمية العامل الوراثي في هذا الباب والذي اسهم في التصدي لكل اعدائه من الاسرة ومن ثم توحيد القبائل تحت رايته واختياره الوريث الشرعي لزعامتها لان والده كان الزعيم الحقيقي للمغول قبل ذلك .

٣- الانجاز العسكري الواضح والسريع بفضل الخطط العسكرية والاهتمام بجانب التسليح ونوع الاسلحة وجودتها وطريقة المواجهة واختيار المكان فكان دقيقا ومنظما الى ابعد الحدود ومطاعا مهابا بفضل صرامته التي حققت له الكثير من النجاحات .

٤- ظهر جنكيزخان مشرعا من خلال كابته لأول قانون للمغول في تاريخهم ولم يكتف بالعادات والاعراف التي كانوا يتداولونها انما غيّر واضاف وحذف الكثير منها فكان ذلك سببا حقيقا في توحيد القبائل وايقاف النزعات بينها .

٥- امتلك هذا القائد الكبير رؤية دينية متسامحة على الرغم من كونه من الديانة الشامانية الوثنية الا انه اخذ باراء رجال الدين من كل الاديان والمذاهب .

٦- عمل على بناء نظام اداري ناجح وقوي استطاع خلاله تامين الامبراطورية وتقويتها داخليا وكذلك اهتم بالجانب الاقتصادي وعلى الاخص التجارة من خلال تامين الطرق وتسهيل دخولها .

ملحق الصور

صورة تقريبية منحوته لشكل جنكيز خان

صورة مرسومة للامبراطور جنكيزخان موجودة في المتحف الايطالي

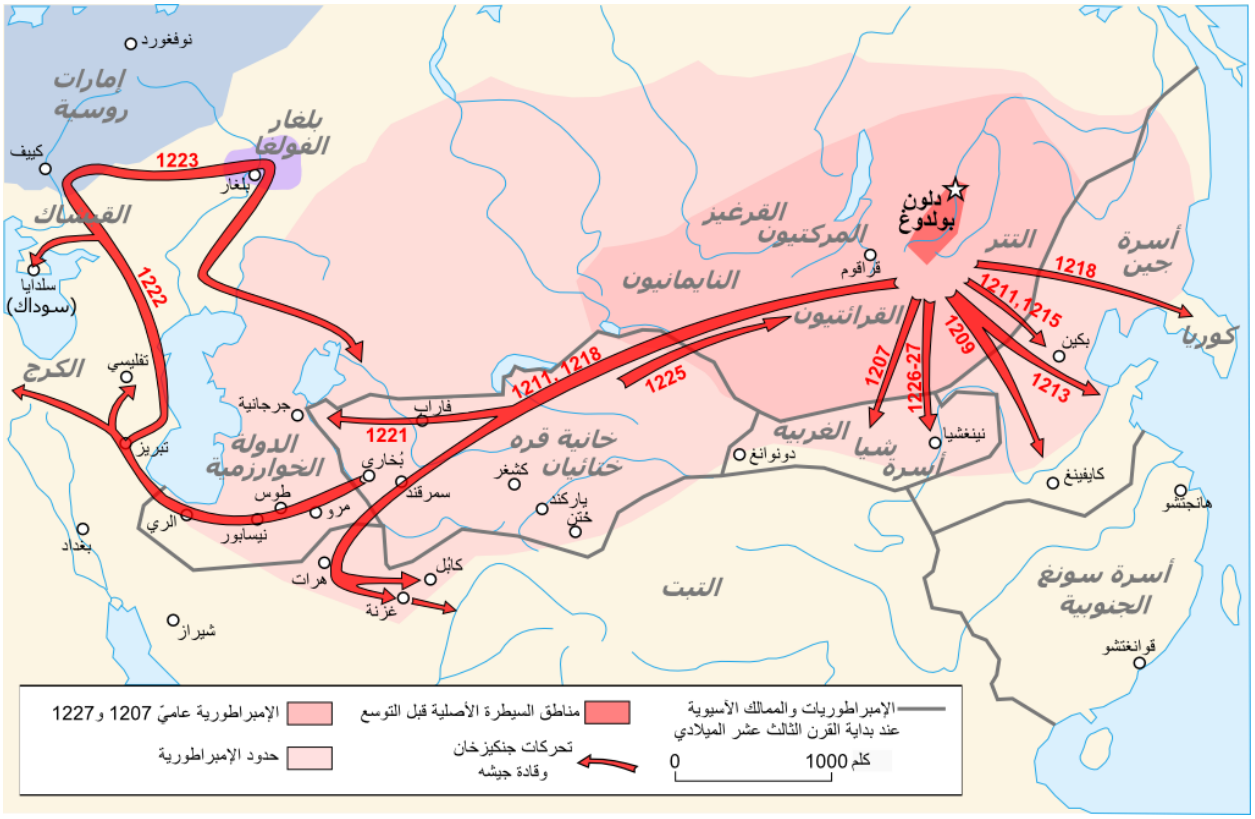

توضح الخارطة الحملات التوسعية لامبراطور المغول وحدود امبراطوريته

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٧/١ .

(٢) الصالح ، المعجم الصافي في اللغة العربية ، ٤٥ .

(٣) مجلة الذاكرة ، ٣٥٧ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢٦ ؛ الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ٢٢٩/٧ ؛ الزمخشري ، اساليب اللغة ، ٢٠٥ ؛ الفيرز ابادي ، القاموس المحيط ، ٣٤٦/٣ ؛ الفيومي ، المصباح المنير ، ٥٦ ؛ مجمع اللغة العربي ، المعجم الوسيط ، ٢٢٦ .

(٥) الفاخوري ، تاريخ الادب العربي ، ٧٢٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ٧٠٤-٧٠٥ .

(٧) الخوري ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، ٣٦٨ .

(٨) الزيات ، التفصيل في الموضوع ، مجلة الرسالة ، ٣٧١ .

(٩) الخوري ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، ٣٧١ .

(١٠) كارلايل ، الابطال ، ١ .

(١١) منغوليا

(١٢) الصياد ، المغول في التاريخ ، ٣٩ .

(١٣) قبائل تركية يرجعها اخرون الى الجنس الاصفر سكنت المنطقة الواقعة جنوب اقليم التبت وشمالا نهر ارخون ومملكة القرغيز ، والى الشرق اقليم الخطا او الصين الشمالية وغربا ممالك الايغور وتعد من اشد القبائل بطشا وجبروتا .ينظر : طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٢٥ .

(١٤) تيموجين : كلمة صينية تعني الفائق الصلابة والقوة . العريني ، المغول ، ٤٣ .

(١٥) طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٢٥ .

(١٦) العريني ، المغول ، ٣٤-٤٤ .

(١٧) عكاشة ، اعصار من الشرق ((جنكيزخان)) ، ٣٢-٣٣ .

(١٨) العريني ، المغول ، ٤٣-٤٤ .

(١٩)عكاشة ، اعصار من الشرق ((جنكيزخان)) ، ٣٢-٣٣ .

(٢٠) العريني ، المغول ، ٤٤ .

(٢١) المستادب ، رحلة قبائل المغول من التمزق الى التوحيد ، العدد الرابع ، سنة ٢٠٠٩ ، ٧١ .

(٢٢)http:www.ara qeek.com.

(٢٣) الصياد ، المغول في التاريخ ، ٤١ .

(٢٤) التايجوت :

([٢٥]) العريني ، المغول ، ٤٤ .

([٢٦]) المصدر نفسه ، ٤٥ .

([٢٧]) المستادب ، رحلة قبائل المغول من التمزق الى التوحيد ، العدد الرابع ، سنة ٢٠٠٩ ، ٧١ .

([٢٨]) عكاشة ، اعصار من الشرق (جنكيزخان) ، ٤٥ .

([٢٩]) الصياد ، المغول في التاريخ ، ٤٣ .

([٣٠]) العريني ، المغول ، ٤٥ .

([٣١]) عكاشة ، اعصار من الشرق (جنكيزخان) ،٤٥-٤٦ .

([٣٢]) طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٢٦ .

([٣٣]) العريني ، المغول ، ٤٦ .

([٣٤]) الصياد ، المغول في التاريخ ، ٢٤ .

([٣٥]) العريني ، المغول ، ٤٦ .

([٣٦]) المصدر نفسه ، ٤٧ .

([٣٧]) الان بالغوت : هي منطقة مغولية عرفت بهذا الاسم لوجود سبعين مستنقعا وهو ماتعنيه هذه الكلمة . طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٢٧ .

([٣٨]) طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٢٧ .

([٣٩]) جنكيز خان : لقب ملكين مشتق من كلمة صينية مغولية تعني القوي المقتدر . العريني ، المغول ، ٤٨ .

([٤٠]) الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ٢١ .

([٤١]) العريني ، المغول ، ٤٨-٤٩ .

([٤٢]) ريهام المستاري ، رحلة قبائل المغول من التمزق الى التوحيد ، ٧٢ .

([٤٣]) العريني ، المغول ، 65 .

([٤٤]) المصدر نفسه ، 66 .

([٤٥]) المصدر نفسه .

([٤٦]) عكاشة ، اعصار من الشرق (جنكيزخان) ، ١٢٢ .

([٤٧]) العريني ، المغول ، ٦٦ .

([٤٨]) الجويني ، تاريخ فاتح المعالم جهانكشاي ، ٩٧-٩٨ .

([٤٩]) بارتولد ، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ٥٦٦ .

([٥٠]) الجويني ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، ٩٨ .

([٥١]) العريني ، المغول ، ١١٧-١١٨ .

([٥٢]) المصدر نفسه ، ١١٧-١١٨ .

([٥٣]) قايرخان : لقب تركي تعني(العظيم القهار) وعرف به والي مدينة اترار وهو قريب من كلمة اينالجق التي قد تكون اسما اولقبا وتعني (الامير) ، بارتولد ، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ٥٦٨ .

([٥٤]) بارتولد ، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ٥٦٨ .

([٥٥])العريني ، المغول ، ١١٩ .

([٥٦]) الجويني ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، ٩٩ .

([٥٧]) العريني ، المغول ، ١١٩-١٢٠ .

([٥٨]) بارتولد ، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ٥٧٢ .

([٥٩]) العريني ، المغول ، ١٣٠-١٣١ .

([٦٠]) طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٣٢-٣٣ .

([٦١]) قورجي : يقصد بهم (رماة السهام) وهي تسمية مغولية تطلق على هذه الفئة من حرس البلاط . ينظر : بارتولد ، تركستان من الفتح الى الغزو المغولي ، ٥٤٩ .

([٦٢]) باورجي : تسمية مغولية تطلق على العاملين بالخدمة داخل البلاط . ينظر : بارتولد ، تركستنان من الفتح الى الغزو المغولي ، ٥٤٩ .

([٦٣]) اردن : تسمية مغولية تطلق على حرس الابواب في البلاط . بارتولد ، تركستان من الفتح الى الغزو المغولي ، ٥٤٨-٥٤٩ .

([٦٤]) بارتولد : تركستان من الفتح الى الغزو المغولي ، ٥٤٨-٥٤٩ .

([٦٥]) طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٣٣ .

([٦٦]) تولوي : هو اصغر ابناء جنكيزخان حمل لقب النوين الكبير وكان اليد اليمنى لابيه في الشؤون العسكرية . ينظر : طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين . ٣٣ .

([٦٧]) طرخان : يقصد بها الطبقة العسكرية الارستقراطيةة التي سلمت اكثر الامتيازات خلال عصر جنكيزخان . ينظر : طقوش ، تاريخ المغول العظام والايلخانيين . ٣٣ .

([٦٨]) طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٣٣ .

([٦٩]) بارتولد ، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ٥٥١ .

([٧٠]) طقوش ، تاريخ المغول العظام والايلخانيين ، ٣٤ .

([٧١]) العريني ، المغول ، ٥٦ .

([٧٢]) طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٣٤-٣٥ .

([٧٣]) الاوريغور : كلمة تركية معناها الارتباط والتعاون ، وهي قبيلة تركية صاحبة نظام ودولة شغلت المنطقة الواقعة شمالي منغوليا وشمال شرق تركستان على نهر سلنجا ، وكان رئيس دولتهم يلقب (ايدي قوت) اي السعادة المقدسة وكان الحكم قد انتقل اليهم عام ٧٤٥/١٢٥م . طقوش ، تاريخ المغول العظام الايلخانيين ، ٣٠ .

([٧٤]) بارتولد ، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ٥٥٢-٥٥٤ .

(٧٥) طقوش ، تاريخ المغول العظام والايلخانيين ، ٣٥ .

(٧٦) العريني ، المغول ، ٥٨-٥٩ .

(٧٧) الياسا : لفظة مغولية معناها الحكم او القاعدة او القانون وتطلق على الحكم الذي يصدره الملك او الامير . طقوش ، تاريخ المغول العظام والايلخانيين ، ٣٦ .

(٧٨) العريني ، المغول ، ٦٠ .

(٧٩) الصياد ، المغول في التاريخ ، ٣٩٩/١ .

(٨٠) العريني ، المغول ، ٦٢ .

(٨١) العريني ، المغول ، ٦٢ .

(٨٢) الصياد ، المغول في التاريخ ، ٣٣٩ .

(٨٣) طقوش ، تاريخ المغول العظام والايلخانيين ، ٣٧ .

(٨٤) غروسيه ، جنكيزخان قاهر العالم ، ٣٦٥ .

(٨٥) https:www.areqeek.com .

(٨٦) https:www.areqeek.com .